الفصل الثالث

رعاية الله لحرمتهم

أحق خلق الله بولاية الله ونصرته وحفظه هم الصحابة

فمن عاداهم فهو عدو لله ورسوله.

وفي الحديث القدسي:

«من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب».

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الثالث

رعاية الله لحرمتهم وانتقامه ممن آذاهم

من تمام عزة الملك - جل جلاله - حفظه لأوليائه ونصرته لهم، وانتقامه من عاداهم.

وبقدر هذه الولاية يكون الحفظ والرعاية وأحق خلق الله بذلك بعد الأنبياء هم الصحابة الكرام، وفي الحديث القدسي الذي يرويه الإمام البخاري قال ربنا الملك العلي: «**من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب**»(١).

فمقت الله وغضبه على من عادى أولياءه وكم من عقوبات توالت تترى على أولئك السفهاء الذين أرادوا النيل من أطهر جيل، وهم في ذلك مكذبون بآيات التنزيل وحديث رسول الله ﷺ.

ولا عقوبة أقسى وأقصى من موت القلوب والانسلاخ من الدين ليلقى أولئك المجرمون جزاءهم الحق يوم يلقون ربهم - جل جلاله - فيكون خصمهم في ذلك الله ورسوله فهل بعد الخزي في هذا الموقف من خزي؟!

وقد جاءت أحداث التاريخ تشير إلى انتقام الله - جل جلاله - ممن آذى الصحابة الكرام، وها هي مواقف منتقاةً لعلها تردع كل رافضي خبيث وكل من شابههم في معتقدهم الساقط الباطل المردود المرفوض.

---

(١) رواه البخاري برقم [٦٥٠٢].

obeikandi.com

ومن هذه الشواهد ما يلي:

في الصحيحين من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: شكا أهل الكوفة سعدًا إلى عمر رضي الله عنه فعزله واستعمل عليهم عمارًا، فشكوا حتى ذكروا أنه لا يحسن يصلي فأرسل إليه فقال: يا أبا إسحاق، إن هؤلاء يزعمون أنك لا تحسن تصلي؟!.

قال أبو إسحاق: أما أنا والله فإني كنت أصلي بهم صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أخرم عنها أصلي صلاة العشاء فأركد في الأوليين وأخف في الأخريين.

قال: ذاك الظن بك يا أبا إسحاق، فأرسل معه رجلًا أو رجالًا إلى الكوفة فسأل عنه أهل الكوفة ولم يدع مسجدًا إلا سأل عنه ويثنون معروفًا حتى دخل مسجدًا لبني عبس فقام رجل منهم يقال له أسامة بن قتادة يكنى أبا سعدة فقال: أما إذ نشدتنا فإن سعدًا كان لا يسير بالسرية ولا يقسم بالسَّوية ولا يعدل في القضية، قال سعد: أما والله لأعودن بثلاث: اللهم إن كان عبدك هذا قام رياءً وسمعة فأطل عمره وأطل فقره وعرضه للفتن. قال: وكان بَعْدُ إذا سئل يقول: شيخ كبير مفتون أصابتني دعوة سعد.

قال عبد الملك: فأنا رأيته بعدُ قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر وإنه يتعرض للجواري في الطريق يغمزهن[1].

وعن عامر بن سعيد قال: أقبل سعدٌ من أرض له فإذا الناس عكوف على رجل فاطلع سعدٌ فإذا هو يسب طلحة والزبير وعليًا فنهاه فكأنما زاده إغراء فقال: ويلك ما تريد إلا أن تسب أقوامًا هم خير منك، لتنتهين أولأدعونَّ عليك فقال: هيه فكأنما تخوفني نبيًا من الأنبياء، فانطلق فدخل دارًا فتوضأ ودخل المسجد فقال: اللهم إن كان

(1) رواه البخاري برقم [٦٥٠٢]، ومسلم برقم [٤٥٣].

هذا قد سب أقوامًا قد سبق لهم منك خير أسخطك سبه إياهم فأرني اليوم به آية تكون آية للمؤمنين. قال: وتخرج بختية من دار بني فلان نادَّةً لا يردها شيء حتى تنتهي إليه ويتفرق الناس عنه فتجعله بين قوائمها فتطؤه حتى طفىء.

قال: فأنا رأيته يتبعه الناس يقولون: استجاب الله لك يا أبا إسحاق، استجاب الله لك يا أبا إسحاق[1].

وروى مسلم في صحيحه عن عروة بن الزبير رضي الله عنه أن أروى بنت أويس ادَّعت على سعيد بن زيد أنه أخذ شيئًا من أرضها، فخاصمته إلى مروان بن الحكم فقال سعيد: أنا كنتُ آخذ من أرضها شيئًا بعد الذي سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال: وما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال: سمعته يقول: «**من أخذ شبرًا من الأرض ظلمًا طوقه إلى سبع أرضين**». فقال له مروان: لا أسألك بينة بعد هذا فقال: اللهم إن كانت كاذبة فعمِّ بصرها واقتلها في أرضها.

قال: فما ماتت حتى ذهب بصرها ثم بينا هي تمشي في أرضها إذ وقعت في حفرة فماتت[2].

وعن محمد بن سيرين قال: كنت أطوف بالكعبة فإذا رجل يقول: اللهم اغفر لي وما أظن أن تغفر لي.

قلت: يا عبد الله، ما أظن أحدًا يقول كما تقول؟ قال: إني كنت قد أعطيت الله عهدًا إن قدرت أن ألطم وجه عثمان بن عفان لطمته، فلما قتل ووضع على سريره في

(1) رواه البيهقي في الدلائل [٦/ ١٩٠]، وابن أبي الدنيا في «مجابو الدعوة» [٣٦] واللالكائي في «شرح الأصول» [٢٣٦١].

(2) رواه مسلم برقم [١٦١٠].

البيت والناس يصلون عليه دخلت كأني أصلي فوجدت خلوة فرفعت الثوب عن وجهه فلطمته ثم تنحيت وقد يبست يميني فإذا هي يابسة سوداء كأنها عود شيز(١).

ولما علم سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه بمقتل عثمان قال: رحم الله عثمان ثم تلا قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ [الكهف: ١٠٣-١٠٥].

ثم قال سعد: اللهم اندمهم واخزهم واخذلهم ثم خذهم، واستجاب الله دعوة سعد وكان مستجاب الدعوة فقد أخذ كل من شارك في قتل عثمان مثل الغافقي والأشتر، وحكيم بن جبلة، وكنانة التجيبي حيث قتلوا(٢).

يقول الخالدي: وما مات أحدٌ ممن خرج على عثمان وشارك في قتله إلا مقتولًا قال المستنير بن يزيد عن أخيه قيس بن يزيد، والله ما علمت ولا سمعت بأحدٍ غزا عثمان رضي الله عنه ولا ركب إليه إلا قتل.

ثم ذكر قيس بن يزيد اجتماع من اجتمع من خوارج الكوفة للخروج على عثمان فيهم الأشتر النخعي وكميل بن زياد وعمير بن صابئ وكيف أنهم جميعًا قتلوا إلا عميرًا وكميلًا حتى جاءت إمارة الحجاج بن يوسف الثقفي على العراق بعد أكثر من أربعين سنة، فجاء من قتل عثمان فقام الحجاج بقتلهما بعد تلك السنين بسبب خروجهما على عثمان(٣).

---

(1) رواه اللالكائي في «شرح الأصول» [٤/ ٧٣] برقم [٢٣٦٣] وعود الشيز خشب أسود تتخذ منه قصاع [مختار الصحاح].

(2) «تاريخ الطبري» [٤/ ٣٩٢]، «البداية والنهاية» [٧/ ١٨٩].

(3) انظر تفصيل ذلك في «تاريخ الطبري» [٤/ ٤٠٣].

وعن سعيد بن المسيب أنه قال لعلي بن زيد: مُرْ غلامك فلينظر إلى وجه هذا الرجل. قال قلت: تكفيني أنت أخبرني عنه فقال: إن هذا الرجل قد سوَّد الله وجهه.

كان يقع في علي وطلحة والزبير فجعلت أنهاه فجعل لا ينتهي، فقلت: اللهم إن كنت تعلم أنهم قد كانت لهم سوابق وقدم فإن كان سخطٌ لك ما يقول فأرني آية واجعله آية للناس فسوَّد الله وجهه[1].

وعن عمار بن سيف الضبي قال: خرجنا في غزاة في البحر وعلينا موسى بن كعب فكان معنا رجل في المركب يكنى أبا حمان فأقبل يشتم أبا بكر وعمر فنهيناه فلم ينته، وزجرناه فلم ينزجر فأتينا على جزيرة في البحر فأرفينا إليهم ثم خرجنا فإذا الدَّبر يعني الزنابير وقعت على أبي حمان فأتت على نفسه فدفعت إليه وهو ميت. قال خلف بن تميم: فزادني في هذا الحديث نجدة بن المبارك السلمي قال: سمعت أبا الحباب يذكر شيئًا فأخبر الناس فتعجبوا وقالوا: هذه كانت مأمورة.

قال نجدة: فأقبل قوم يحفرون فاستوعرت علينا الأرض وصلبت فلم نقدر على أن نحفر له فألقينا عليه الحجارة وورق الشجر.

زاد ابن منيع في حديثه قال خلف: وكان صاحب لنا يبول فوقعت نحلة على ذكره فلم تضره فعلمنا أنها كانت مأمورة[2].

وذكر الذهبي في السِّير قال القاضي أبو الطيب: كنا في مجلس النظر بجامع المنصور، فجاء شاب خراساني فسأل عن مسألة المصراة. فطالب بالدليل.

---

(1) «السير للذهبي» [٤/ ٢٤٢].

(2) رواه اللالكائي في شرح «أصول أهل السنة» [٤/ ٧٤] برقم [٢٣٦٥].

حتى استدل له بحديث أبي هريرة الوارد فيها فقال: أبو هريرة غير مقبول الحديث فما استتم كلامه حتى سقط عليه حية عظيمة من سقف الجامع فوثب الناس من أجلها وهرب الشاب منها وهي تتبعه فقيل له: تُب تُب فقال: تبتُ، فغابت الحية فلم يُر لها أثر، **قال الذهبي**: إسنادها أئمة(١).

قلت: وسمعت منذ سنوات أحد علماء الحديث الثقات يقول: عرضت علينا فتوى عجيبة هذا مؤداها: رجلان مصريان كانا يعملان بالسعودية في مدينة رسول الله ﷺ. ومع كثرة حديثهما عن المدينة وما فيها من آثار وبدافع حب الاستطلاع زين الشيطان للرجلين أمرًا كبارًا. وذلك بعد حديثهما عن البقيع وهو المكان الذي دفن فيه أكثر صحابة الرسول ﷺ.

أراد الرجلان أن ينبشا قبر صحابي لينظرا إلى جسده، وهل لازالت الأجساد موجودة أم لا.

وفي سكون الليل وغفلة العيون اصطحب الرجلان آلات حفر ومصباح صغير وذهبا إلى البقيع وبدأ الحفر حتى وصلا إلى جثة صحابي فأمسك أحدهما بذراعه فحدثت له في الحال رعدة شديدة واهتزازًا عنيفًا في بدنه وانصرف الرجلان بسرعة ودامت هذه الرعدة في جسد هذا الرجل حتى فارق الحياة بعد أسابيع من تلك الواقعة. أما الآخر فقد رجع إلى مصر وقد أصيب بوساوس شديدة في عقله، وأصبح يشك في كل شيء وتنغص عيشه وصار في نكبات نفسية شديدة حتى أراد أن يستريح من هذه الحمى العقلية ولو بقتل نفسه وجاء يستفتي العلماء في ذلك وقد سمعت هذا المشهد من الشيخ مباشرة والسائل له أحد الرجلين والله تعالى أعلم.

---

(١) «سير أعلام النبلاء» [٢/ ٦١٨].

وهذا المشهد من التاريخ نختم به هذا الفصل وقد أورده الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية [٩/ ١٣٩-١٤١] دخل أنس بن مالك على الحجاج بن يوسف فلما وقف بين يديه قال له: إيهٍ إيهٍ يا أُنيس يوم لك مع علي، ويوم لك مع ابن الزبير ويوم لك مع ابن الأشعث، والله لأستأصلنك كما تستأصل الشاة ولأدمغنك كما تدمغ الصمغة فقال أنس: إياي يعني الأمير أصلحه الله؟

قال: إياك أعني صك الله سمعك. قال أنس: إنا لله وإنا إليه راجعون، والله لولا الصبية الصغار ما باليت أي قتلة قتلت، ولا أي ميتة مت.

ثم خرج من عند الحجاج. فكتب إلى عبد الملك بن مروان يخبره بما قال له الحجاج. فلما قرأ عبد الملك كتاب أنس استشاط غضبًا وتعاظم ذلك من الحجاج.

وكان كتاب أنس إلى عبد الملك:

بسم الله الرحمن الرحيم إلى عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين من أنس بن مالك.

أما بعد: فإن الحجاج قال لي هُجرًا وأسمعني نُكرًا، ولم أكن لذلك أهلاً، فخذ لي على يديه فإني أمت بخدمتي رسول الله ﷺ وصحبتي إياه. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فبعث عبد الملك إسماعيل بن أبي المهاجر وكان صديقًا للحجاج فقال له: دونك كتابيَّ هذين فخذهما واركب البريد إلى العراق وابدأ بأنس بن مالك صاحب رسول الله ﷺ فارفع كتابي إليه وأبلغه مني السلام وقل له: يا أبا حمزة، قد كتبت إلى الحجاج الملعون كتابًا إذا قرأه كان أطوع لك من أمتك.

ولما دخل إسماعيل على الحجاج قال له الحجاج: مرحبًا برجل أحبه وكنت أحب لقاءه.

فقال إسماعيل: وأنا والله كنت أحب لقاءك في غير ما أتيتك به، فتغير لون الحجاج وخاف وقال: ما أتيتني به؟ قال: فارقت أمير المؤمنين وهو أشد الناس عليك غضبًا ومنك بعدًا فاستوى الحجاج جالسًا مرعوبًا. فرمى إليه إسماعيل بالطومار [أي: أعطاه الرسالة] فجعل الحجاج ينظر فيه مرة ويعرق، وينظر إلى إسماعيل أخرى فلما فضه قال: قم بنا إلى أبي حمزة نعتذر إليه ونترضاه فقال له إسماعيل: لا تعجل. قال: كيف لا أعجل وقد أتيتني بآبدة.

وكان في الطومار: بسم الله الرحمن الرحيم من أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان إلى الحجاج بن يوسف.

أما بعد: فإنك عبدٌ طمت بك الأمور، فسموت فيها وعدوت طورك، وجاوزت قدرك، وركبت داهية إدّا، وأردت أن تبدو لي فإن سوغتكها مضيت قدمًا، وإن لم أسوغها رجعت القهقري، فلعنك الله من عبد أخفش العينين، منفوص الجاعرتين أنسيت مكاسب آبائك بالطائف وحفرهم الآبار ونقلهم الصخور على ظهورهم في المناهل، يا ابن المستفرية بعجم الزبيب، والله لأغمرنك غمر الليث الثعلب، والصقر الأرنب، وثبت على رجل من أصحاب رسول الله ﷺ بين أظهرنا فلم تقبل له إحسانه ولم تتجاوز عن إساءته جرأة منك على الرب عَزَّ وَجَلَّ، واستخفافًا منك بالعهد.

والله لو أن اليهود والنصارى رأت رجلًا خدم عزيز بن عزرى، وعيسى بن مريم لعظمته وشرفته وأكرمته وأحبته.

بل لو رأوا من خدم حمار العزيز أو خدم حواري المسيح لعظموه وأكرموه، فكيف وهذا أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ ثماني سنين[1].

---

(1) المحفوظ في الصحيح أن أنسًا رضي الله عنه خدم رسول الله عشر سنين.

يطلعه على سره، ويشاوره في أمره، ثم هو مع بقية من بقايا أصحابه فإذا قرأت كتابي هذا فكن أطوع له من خفه ونعله وإلا أتاك مني سهم بكل حتف قاض، ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون.

ويقول ابن القيم في الروافض أعداء الصحابة:

واقرأ نسخة الخنازير من صور أشباههم ولا سيما أعداء خيار خلق الله بعد الرسل، وهم أصحاب رسول الله ﷺ فإن هذه النسخة ظاهرة على وجوه الرافضة، يقرؤها كل مؤمن كاتب وغير كاتب، وهى تظهر وتخفى بحسب خنزيرية القلب وخبثه، فإن الخنزير أخبث الحيوانات وأردؤها طباعًا، ومن خاصيته أنه يدع الطيبات فلا يأكلها، ويقوم الإنسان عن رجيعه فيبادر إليه فتأمل مطابقة هذا الوصف لأعداء الصحابة كيف تجده منطبقًا عليهم فإنهم عمدوا إلى أطيب خلق الله وأطهرهم فعادوهم وتبرءوا منهم ثم والوا كل عدو لهم من النصارى واليهود والمشركين فاستعانوا في كل زمان على حرب المؤمنين الموالين لأصحاب رسول الله ﷺ بالمشركين والكفار، وصرحوا بأنهم خيرٌ منهم فأي شبه ومناسبة أولى بهذا الضرب من الخنازير، فإن لم تقرأ هذه النسخة من وجوههم فلست من المتوسمين، وأما الأخبار التي تكاد تبلغ حد التواتر بمسخ من مسخ منهم عند الموت خنزيرًا فأكثر من أن نذكرها هنا وقد أفرد لها الحافظ عبد الواحد المقدسي كتابًا[1].

إن السعيد لمن له من غيره عظة ... وفي التجارب تحكيم ومعتبرُ

(1) «مفتاح دار السعادة» نقلًا عن «الجزاء من جنس العمل» [٢/ ٢٨٤-٢٨٥].

يقول الإمام أحمد - عليه رحمه الله -: لحوم العلماء مسمومة، من شمَّها مرض ومن أكلها مات.

وعن مخلد قال: حدثنا بعض أصحابنا قال: ذكرتُ يومًا عند الحسن بن ذكوان رجلًا بشيء فقال: مه! لا تذكر العلماء بشيءٍ فيميت الله قلبك، وقال الحافظ ابن عساكر: من أطلق لسانه في العلماء بالثلب ابتلاه الله تعالى قبل موته بموت القلب وقد نهي رسول الله ﷺ عن سب الديك لأنه يدعو إلى الصلاة فكيف يستبيح قوم إطلاق ألسنتهم في ورثة الأنبياء الداعين إلى الله عَزَّ وَجَلَّ[1].

فإذا قيل هذا في العلماء فماذا يقال في صحابة النبي ﷺ وهم في الفضل أعلى وبالتوقير أولى فهم أئمة العلماء وقدوة العابدين رضي الله عنهم أجمعين.

ولله دَرُّ ابن المبارك حين يقول:

إني امرؤ ليس ديني لغامزه ... لين ولستُ على الأسلاف طعانا

شغلت عن بُغض أقوام مضوا ... سلفًا وللرسول مع الفرقان أعوانا

فما الدخول عليهم في الذي عملوا ... بالظن مني وقد فرطت عصيانا

فلا أسب أبا بكر ولا عمرا ... ولا أسب - معاذ الله - عثمانا

ولا ابن عم رسول الله أشتمه ... حتى ألبس تحت التراب أكفانا

ولا الزبير حواري الرسول ولا ... أهدي لطلحة شتامًا عز أوهانا

ولا أقول علي في السحاب لقد ... والله قلتُ إذًا ظلمًا وعدوانًا

---

(1) «الإعلام بحرمة أهل العلم» [ص:٣٢٣-٣٢٤] للدكتور المقدم.

ولا أقـــول بقـــول الجهـــم إن لـــه قولًـــا يـضارع أهـــل الـــشرك أحيانًـــا

ولا أقـــول تخلـــى مـــن خليفتـــه ربُّ العبـــاد وولَّـــى الأمـــر شـــيطانا

مـــا قـــال فرعـــون هـــذا في تجـــبره فرعـــون موســـى ولا هامـــان طغيانـــا

لكـــن علـــى ملـــة الإســـلام لـــيس لنـــا اســـمٌ ســـواها بـــذاك الله سمَّانـــا

إن الجماعـــة حبـــل الله فاعتـــصموا بهـــا فـــإن العـــروة الـــوثقى لمـــن دانـــا

***

obeikandl.com